الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الحميد بن باديس -مستغانم-

كلية الآداب والفنون

قسم أدب عربي

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر تحت عنوان:

شارل بودلير وإلياس أبو شبكة تأثيرا وتأثرا

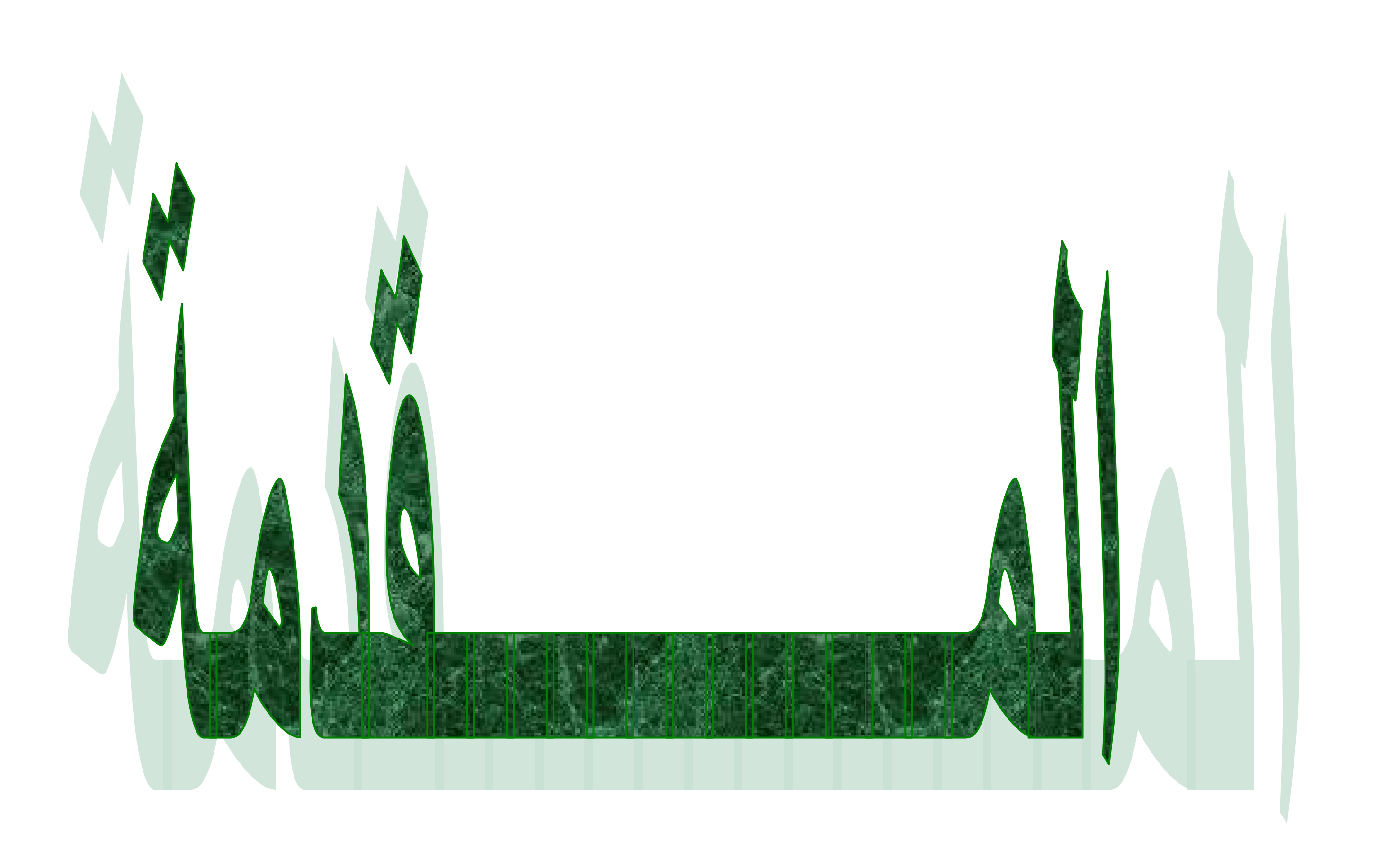
من إعداد الطالبة: بن جليجل كريمة

تحت إشراف الأستاذ: إبراهيم بلقاسم

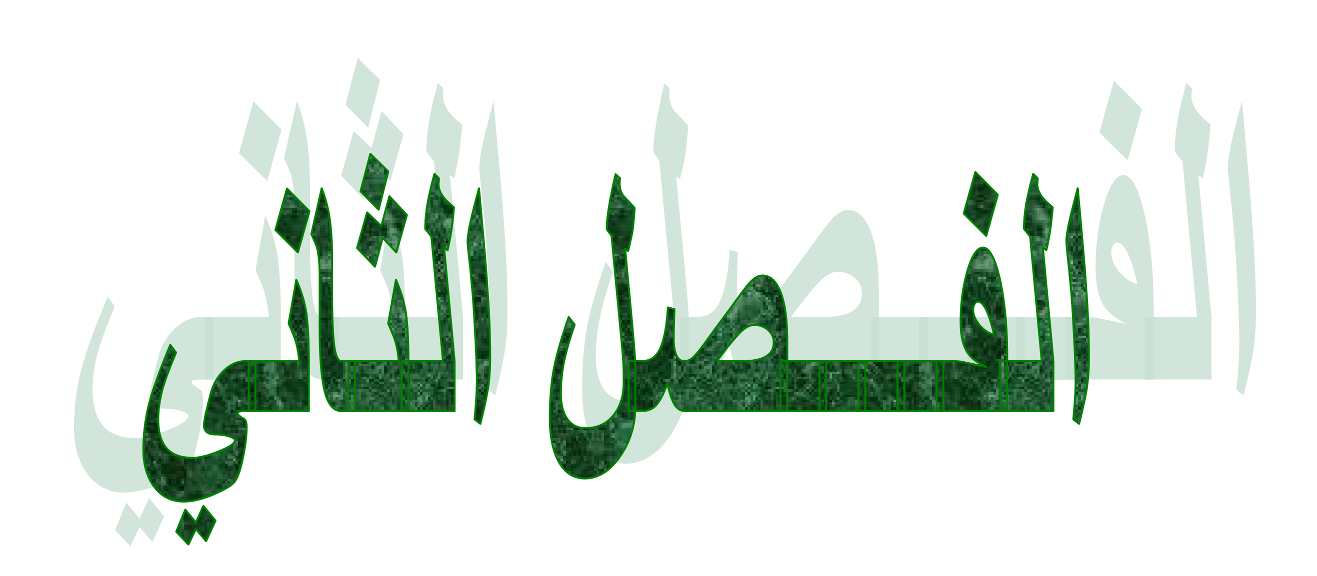
السنة الجامعية: 2016/2015


إهـــــــــــداء
أهدي ثمرة جهدي على من قال فيهما جل جلاله
" فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما"
إلى من ربياني فأحسنتا تربيتي، إلى بهجة حياتي أمي
الحنونة أطال الله في عمرها وأبي العزيز رحمه الله
إلى جدتي الغالية "برايكية زهرة، وإلى كل من
شاركني بطن أمي: كمال . حمديد . عبد القادر
نوال . سامية . عائشة والزهرة وإبنة أختي لوجين .
إلى كل الأحباب والأوفياء
وإلى كل من ساعدني
في هذه المذكرة ولو
بحرف أو كلمة أو مبادرة
بسيطة
بن جليجل كريمة


دعـــــاء
ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا
ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على
الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا مالا
طاقة لنا به وأعف عنا واغفر لنا وارحمنا
انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين
امـــــين

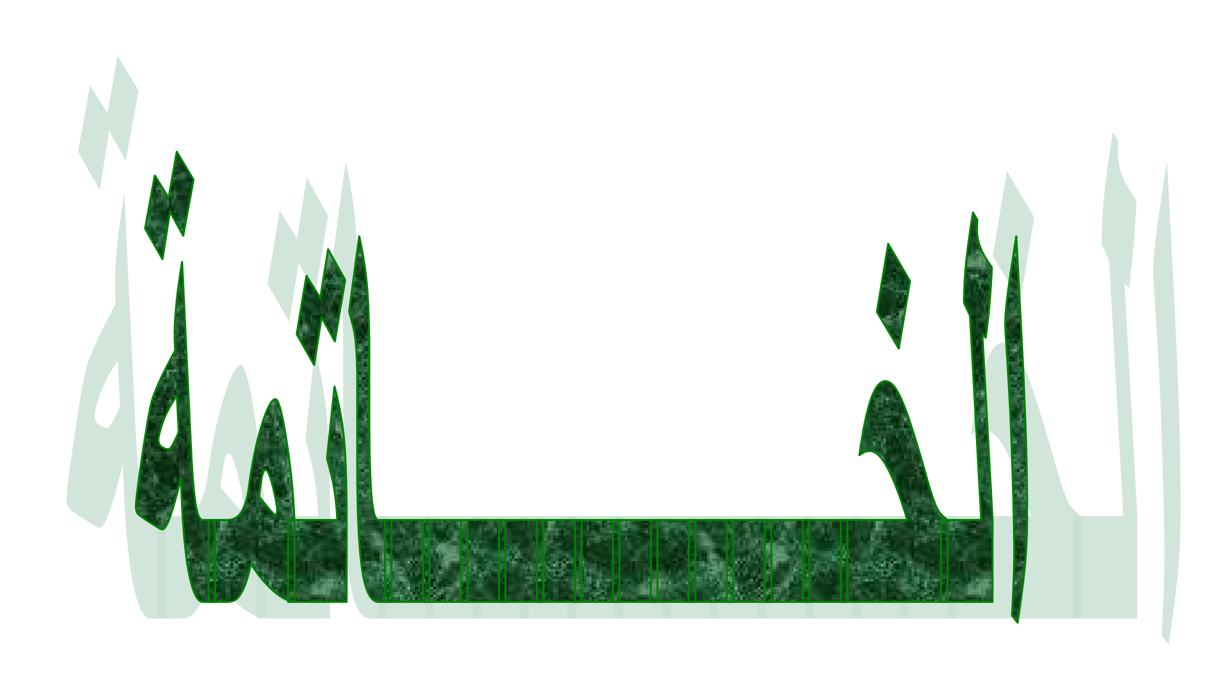

المقدمة

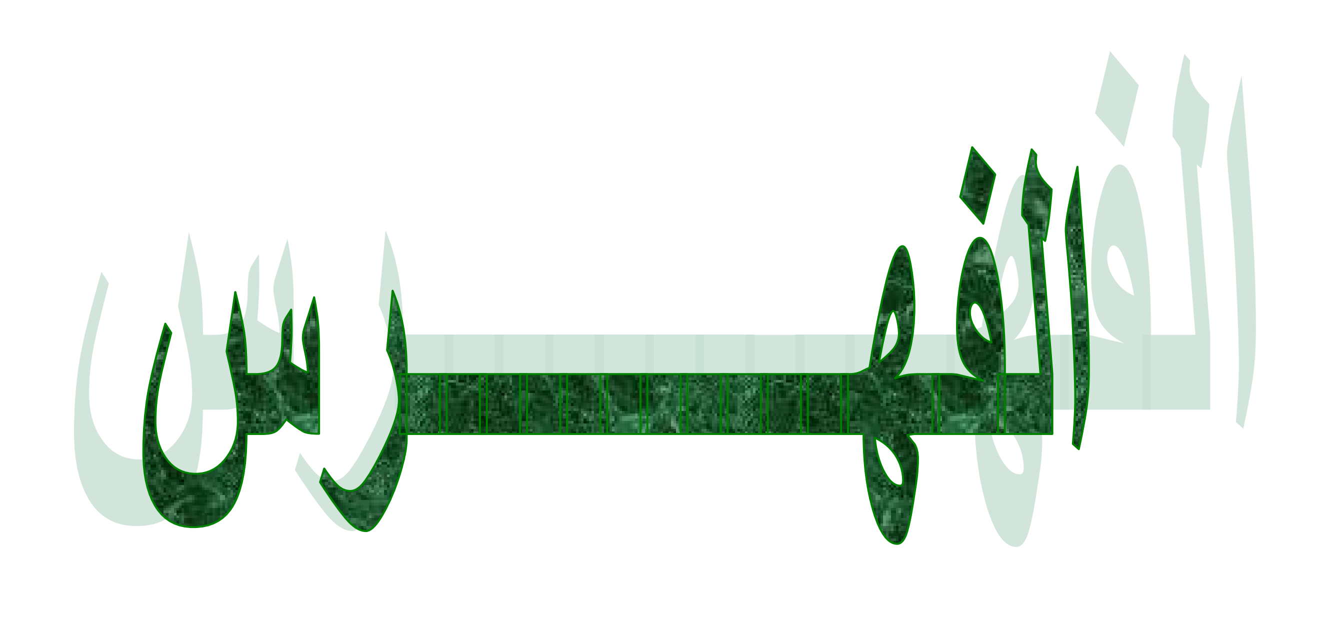

الفصـل الأول


الفصل الثاني


المدخل


قائمة المراجع والمصادر


الخاتمة


الفهـــــــــــــــــرس


المبحث الأول


المبحث الثاني


المبحث الثالث


المبحث الرابع

إن هذا الأدب يتسم بغنى وخصوبة إذا ما قرن بالأدب القديم حيث ترجع تلك إلى السرعة في التحولات الاقتصادية، سياسية، الفنية...

مما أدت إلى الصلات بين الشعوب والأمم وخلق الاحتكاك مثل إلياس وبودلير راجع إلى انتقال الأفكار من بلد إلى بلد ومن مكان إلى مكان، حيث يتبع الباحث أصول الظواهر الأدبية وعودتها إلى منبعها المعرفة كل عمل أدبي إبداعي، كما أن في وقتنا الراهن لا يمكن دراسة الأدب دون التعرض إلى الآداب الأجنبية.

وموضوع بحثي عبارة عن دراسة مقارنة بين " أزهار الشر " للشاعر الفرنسي بودلير و " أفاعي الفردوس" للشاعر اللبناني إلياس أبو شبكة، سبب اختياري لهذا الموضوع سببين إحداهما ذاتي والثاني موضوعي فذاتي حرصي على فهو كل ما مر به من إلياس وبودلير في حياتهما والموضوعي أن هذا النوع من الدراسة لقي إقبالا كبيرا من طرف الأدباء والشعراء.

اعتمدت به المنطلقات التاريخية والفلسفية والنفسية عندهما وتعاملت مع إنتاجهما، اتضح لي من خلال الدراسة كشف عن قانون الحياة، بخيره وشره، قبحه وجماله...

على هذه الركائز بنى بودلير شعره وإلياس ينقل الحالات النفسية حادة، ومن أهم المنابع التي اعتمدت عليها بالإضافة إلى ديوان " أزهار الشر" و "أفاعي الفردوس" قصائد مترجمة مصطفى القصدي – إبراهيم نابي – جورج غريب - حلمي مرزوق- شوقي ضيف....

اعتمدت على خطة تتصدرها مقدمة ثم مدخل تعرضت فيه إلى لمحة عن ما مرت به لبنان آنذاك سواء سياسيا، ثقافيا، اجتماعيا والفصل الأول تعرضت فيه لاكتساب إلياس اللغة

الفرنسية ودواع إلياس إلى شعر بودلير وبعض رأي النقاد حول ذلك أي شبه بين أفاعي الفردوس وأزهار الشر بالإضافة إلى أسباب والتشابه بين حياتهما الشعرية.

أما الفصل الثاني تعرضت فيه إلى الكشف عن تأثر إلياس بمنهج بودلير بالإضافة إلى المذهب الفني وإلى ماهية الجمال وأنواعه عند الشاعرين وخاتمة تعرضت فيها إلى حوصلة البحث .

لولا الصعوبات التي تعرض الباحث أثناء بحثه لما كانت للبحوث أهمية ولما أحس الباحث بالارتياح في إنجاز بحث علمي.

لم يكن بالأمر الهين أو السهل ذلك لوجود مجموعة من الصعوبات وعرقلة مسار البحث من بينها عدم توفر مراجع ورغم ذلك حرصت على أن أخرج هذه المذكرة في زي لائق.

كما لا أنسى أن أشكر كل من ساعدني في هذا البحث بتزويدي بالكتب والنصائح من أساتذة وزملاء بالخصوص الأستاذ المحترم " إبراهيم بلقاسم"

المدخل:

إن أثر الحضارة الفرنسية في التراث اللبناني لم تبدأ بابتداء فترة 1920- 1943 ولم ينتهي بانتهائها، فقد كانت لأصول تاريخية عميقة وأبعاد حضارية جديدة [1] كانت صلة تعارف لبنان الموازنة والمسجيين بأوروبا قديمة العهد وذلك منذ أواخر القرن الثاني عشر حين احتل الفرنجة السواحل الشمالية[2].

ولعبت الحركة البشرية الفرنسية في حمل لبنان بشكل خاص حيث يتم كز العدد الأكبر من أفراد الهيئة التعليمية التي كانت غالبيتها من المبشرين الفرنسيين وكذلك جامعة القديس يوسف بيروت دورا أساسيا إلى توسيع حدود بينان وإلى ضمان فرنسا للوطن المسيحي الذي تنوي إقامته فحتى عام 1914 كانت فرنسا تؤمن سيطرة على 50% من المدارس والطلاب في سوريا ولبنان، وقد تعزز التلاقي بين الثقافة اللبنانية الشرقية والثقافة الفرنسية باسمها منهم، ويتقبل من اللبنانيين أنفسهم، ولم يكن بين المرسلين وأبناء لبنان جفاء كالذي كان بين العرب والترك بصورة عامة [3].

قد أسهمت الأسفار والهجران المختلفة في تطور الثقافة فلم تعد الثقافة اللبنانية الفرنسية مثلا مستمدة من حتمية وجود الفرنسيين في لبنان.

---

(1)ينظر كمال سليمان الصليبي – تاريخ لبنان الحديث ص206.
(2)المرجع نفسه ص159.
(3)ينظر كمال الصليبي ص206.

إنما استطاع قسم كبير من الناس أن يتعرفوا عن قرب إلى ينابيع الثقافة الغربية، أن يعبوا منها، حتى لبحث عن الثقافة هما متقدما من هموم الإنسان اللبناني .

وغالبا اللبناني يهمل الكتابة بلغته الأمر، لأن هذه الأخيرة أصبحت بالنسبة إليه لغة ثانوية ويلتفت إلى اللغة الفرنسية التي يرى فيها طاقة تعبيرية جديدة وثمة دليل واضح على التأثير العميق الذي تركته الثقافة الفرنسية في نفوس الأدباء اللبنانيين[1] .

كانت فئة من الشعراء مضرمين هم من مدرسة البارودي وشوقي وحافظ، تحافظ على القديم وتفضل الثقافة القديمة [2] إذ معظم الشعراء والأدباء الذين كانوا بالعربية، وهو كثيرون كانوا مميزون بسمات تيارات الأدب الفرنسي ولقد برزت الاتحادات الفرنسية عند الشعراء بأشكال مختلفة منها الترجمة والاقتباس والتأثر.

لقد أثار هذا الالتفات والاهتمام بالآداب الغربية لدى من كانت لهم الغيرة على أدبهم ولغتهم غضبا وخوفا [3].

كان الصراع بين المذاهب الفكرية والفنية في العالم الغربي من أهم العوامل التي لعبت دورها في تفتح براعم النهضة الأدبية في العالم العربي الذي بدأت تباشره في أعقاب الحرب الكونية الأولى، وظلت تتطور ببطء حتى اشتد ساعدها منذ بداية الربع الثاني من هذا القرن على وجه العشرين.

(1) ينظر غالب غانم ص27.
(2) الأديب ج 1958 -2،11 السم العربي في لبنان بين الحربين العالمتين.
(3) م. المناهل ع.1،37 -38- 1837.

ومثل ما كان لبنان في بدء النهضة الحديثة سبقا على اقتباس العلوم والآداب وتطعيم النهضة بها، مما ساعد على خلق العصر الأدبي الجديد في دنيا العرب، كان كذلك سبقا إلى التأثر بأغلب هذه المواهب الخفية الحديثة، فكان لكل منها أنصار وتلاميذ وكان للأدب الفرنسي مكانة الأولى والحظ الكبير من هذا التأثير لما فيه من غنى في مذاهب الفكر والفن[1].

نشأ في لبنان تيارين أساسين أحدهما تغلب عليه النزعة الرومانسية وثانيهما يتمسك بأهداف النزعة الرمزية، وقد لاحظ كثير من الدارسين أن النزعتين ظهرتا معا في لبنان وترافقتا، فالتقى شعراء هذه الفترة بها من المدرستين الفرنسيين في آن واحد فمنهم متأثر بالأولى وتبعها، ومنهم من تأثر بالثانية واستعملها ومنهم من وقع تحت تأثير الاثنين .

أما الرومانسية في لبنان فلقد ترسم خطاها والتزم بها نفر كبير من شعراء النهضة بحيث تسرب هذا الاتجاه الفني بدرجات متفاوتة إلى نتاجهم، وذلك في المرحلة الواقعية ما بين الحربين العالمتين بصورة خاصة، ومن أبرز الذين اعتنقوا هذا المذهب، خليل مطران – بشار الخوري – إلياس أبو شبكة[2].

أما الرمزية فكانت لبنان هو أول بلد تلقى صداها وهفت إليه نسيمها فاستنشقه جبران خليل جبران بالرومانسية عاطفية الثائرة المتمردة ويضيف إليها رمزية خفيفة لطيفة وأشعار إلياس أبو شبكة في ديوانه (أفاعي الفردوس) صور عنيفة غريقة بالشبق والشهوة يفجر التناقض والصراع

(1)ينظر الأديب ع2 – 20-1952 الرمزية في الأدب العربي الحديث ، عيسى الناعوري.
(2)ينظر – غالب غانم ص 154.

وأنتقى أمين نخلة اللفظ الناعم الناصح المترف ومال يوسف عصوب إلى جلاء صور برناسية فمنحها حركة وغموضا ورمزا وإصغاء صلاح الأسيد خيالا أبدا شاردا وصلاح و السلالة والمسرحية الشعرية وأصفى عليها من أخليته وألفاظه ومعانيه جوا جديدا[1].

وأهم ما خلقته الرمزية في الشعر العربي المعاصر هو تجربة الشعر الحر، وقد عرف الشعر الفرنسي من قبل هذه التجربة وقد رغب كثير من الشعراء الرمزيين وغير الرمزيين من العرب في الالتزام الشعر الحر مثل سعيه عقل وصلاح – بدر شاكر صلاح عبد الصبور[2].

---

(1) ينظر بديع حقي – محاضرت الموسم الثقافي سنة 1960- 1961 ج4- ص 84-85.
(2) ينظر نفسه ج4.

المبحث الأول: كيفية اكتساب إلياس اللغة الفرنسية:

ففي جو هذه الثقافة نما إلياس وتفتح في فترة كانت فيها اللغة الفرنسية تسير جنبا إلى جنب مع العربية فاستأنس بهذه اللغة منذ حداثة سنة شأنه في ذلك شأن معاصريه اللبنانيين، لقد تعلموها وهم صغار في المدارس فالمؤسسات الرهبانية ، وأتقنوها وهم كبار فوسعوا من أفاق ثقافتهم بتفتحهم على الآداب الغربية مباشرة تارة وعن طريق الترجمة .

ولقد درس إلياس أبو شبكة في معهد عين طورة وهو معهد كان يولي تدرس اللغة الفرنسية وأدبها وتاريخ فرنسا وحضارتها، اهتماما كبيرا [1] . فتعلم إلياس الفرنسية منذ صغره مثل أترابه، فناصرها وتمسك بها، وأعجب بكل ما حملته معها من ثقافة وحضارة فطبعت ثقافته هو ومعاصريه بالطابع الفرنسي بصورة خاصة، وذلك لأن جل مدارس الرسالات كانت تنطق بلسان فرنسي[2].

ولقد اجتنبت اللغة الفرنسية إلياس أبو شبكة منذ صباه وراح يجتهد فيها إلى جانب اللغة العربية وبتقوعا فيها إلى أن تمكن منها وأتقنها، وتمرن في نظم الشعر فيها وهو في السادسة عشر من عمره أو دونها، وقد روى لنا إلياس عن نفسه أنه نظم مرة في ربع ساعة ثلاث رباعيات باللغة الفرنسية تحية لرئيس أساقفة روان، عندما زار المطران يوسف الخازن في الزورق وألفها أمام مركبة في الطريق بعد أن استوقفه بجرأة وامتداد بالنفس وشاعرية[3].

(1)ينظر رزوق إلياس ، أش وشعره – در الكتاب اللبناني للطباعة والنشر – بيروت. ب.ط 1956 ، ص57.
(2)منيف موسى – الأدب العربي الحديث في لبنان ص22.
(3)ينظر رزوق ص 46.

فشب إلياس وكبر، وازداد تقديره لهذه اللغة وإعجابه بها، بل امتد هذا الإعجاب إلى وطن هذه اللغة ونظمها السياسية والاجتماعية، والأدبية، ويظهر لنا ذلك في مؤلفاته حيث نجده مثلا في كتابه روابط الفكر والروح بين العرب ولفرنجة يقول ... وقد لا تخطى إذ قلنا أن فرنسا هي ثدي

العالم، وأن معظم الحركات الاجتماعية والسياسية والأدبية رضعت من هذا الثدي... فلفرنسا الفضل الأكبر على جميع الحركات الأدبية التي قامت في أوروبا أولا وفي سائر بقاع الأرض أخيرا، فإن تكن فرنسا اهتدت في آداب الأمم الأخرى على غذاء قوى لها، فقد أدت إلى هذه الآداب خدما لم يكن لها غنى عنها، إذ نشرتها في جميع أجواء الأرض ، فلولا فرنسا لم يكن لآداب الأمم هذا الذيوع العظيم في مشارف الأرض ومغاربها[1].

لقد فتحت لهذه اللغة باب الاطلاع على أحوال فرنسا السياسية والاجتماعية وفتحت له مجال المقارنة بين فرنسا وبين أحوال بلاده لبنان التي كانت متدهورة يومئذ فأعجبته الثورة الفرنسية القائمة على ما افتقده في بلاده من عدل وإنسانية وحرية ويقول عن الثورة الفرنسية: " ... فمن روح الله من الشعب والعدل والإنسانية، استمدت الثورة الفرنسية عناصر دستورها فكان دستور الحرية والمحبة والعقل ..." [2].

لم يكن إطلاع إلياس على الأدب الفر نسي سطحيا، بل لقد أولاه كل اهتمامه، فتتبع تطوره عبر العصور وعرف المأثور منه وغير المأثور، وكانت له أحكامه وأرائه، وهي مبنية على

(1) إلياس أبو شبكة ص 07.
(2) إلياس –أ.س – روابط الفكر والروح بين العرب و- دار المكشوف لبنان – ب ط 1945.ص55.

المعرفة الجيدة للغة الفرنسية وبلاغتها وأسرارها وجمالها، ومعرفة قواعدها الفنية في الأدب الفرنسي، أو من الأدب اللبناني المكتوب باللغة الفرنسية، ولقد ظهرت له مقالات في مجالات مختلفة حول الأدب الفرنسي وأعلامه ونشاطاتهم، ونذكر على سبيل المثال قوله في الأدباء الفرنسيين وعلاقاتهم بالأدب الألماني ... " منذ مائة سنة توارى وجه ألمانيا الجميل ذلك الوجه الذي أحبه فيمن أحبه أدباء فرنسا في العهد الرومنطقي، أسرفوا في حبهم إياه إسرافا مضى بهم إلى العشق والهيام، حتى إذا نسمت شهوة الفتح العداء من الأدب الألماني، أبى الفرنسيون أن يصدقوا أن موطن الأحلام والخيال موطن الشعر والإيمان والحب يتحول إلى كهف مخيف لإطلاع الغزو والجشع والشهوات..." [1].

لم يكن أبو شبكة إذن يتلقى فقط من الأدب الفرنسي بل كان يكتب عنه ويتعادل معه وله مقالات عديدة في مجالات تعرض فيها لحياة أدباء فرنسيين ولأعمالهم، كل يدل الشعراء اللبنانيين المعبرين بالفرنسية على القواعد الفنية الصحيحة السليمة في النظم والإيقاع، كما نقد وقيم شعر شعراء فرنسيين مشهورين أمثال أرغون في مجموعته الشعرية (انكسار القلب) وزيادة على ذلك كله كان يترجم عن الأدب الفرنسي إلى اللغة العربية وأكثر ما ترجمه منه وطبعه روايات وتمثيليات [2].

لقد كان إطلاع إلياس على الأدب الفرنسي واسعا وكانت قراءته له قراءة المعجب، فلم يكن غريبا أن يتأثر بما قرأ وأن يتسرب إلى شعره بعض ما احتفظ به ذهنه وذاكرته وقلبه من هذا

(1) لأديب – ج خ 1943. ص 51و 52.
(2) رزوق فرج ص83. مما ترجمه إلياس إلى العربية.

النتاج، لقد ترك صدى عميقا في عواطفه وأثرا كبيرا في نفسه ويتخلى ذلك فيما كتب من شعر العربية ويقول رفائيل بطي في هذا: " للأدب الفرنسي أعصف الأثر في هذا الفريق من أدبائهم المحدثين ويمكننا أن نعد إلياس أبو شبكة في محصوله الأدبي شعرا ونثرا خير ممثل لهذه الطبقة من الأدباء اللبنانيين [1].

.

(1) رفائيل يطي الثقافة – إلياس أبو شبكة كاتبا وشاعرا سنة 1947 – ب.ط ص185.

المبحث الثاني: دوافع ميل إلياس إلى شعر بودلير:

يتعذر أحيانا أو يصعب فهم شعر فهما صحيحا في غياب معرفة حياة الشاعر فالشاعر قبل أن يكون شاعرا هو إنسان اجتماعي وأفكاره وهواجسه لا تختلف من عدم بل تنجبها ظروف حياتية ما، وتتغذى من عوامل هذه الظروف وتصدر عنها، وقد تكون هذه العوامل ظروفا عاشها الشاعر سواء في الواقع أو في الخيال، في مراحل متتالية في حياته كالظروف الأسرية ثم المدرسة ثم الاجتماعية بمفهومها الواسع ثم الثقافية، ما يؤدي إلى أن يكون الشعر صدى لهذه أصوات مجتمعة والتي لم تخمد بأعماق نفس الشاعر.

ومما أفادنا في فهم تقرب إلياس من بودلير هو التشابه، نجد أن أكبر حدث اشتركا فيه هو (الشعر) حيث فقد بودلير والده الذي كان شديد التعلق فزاد تعلق بأمه كانت كل شيء له، على أن تتعلق هي برجل غريب وتزوجت به [(1)].

فإذا كان بودلير يتيم من أبيه وزواج أمه برجل آخر قد أثقلا حياته وطبعا إنتاجه الأدبي ، فإن إلياس يتيم من أبيه لم يكن أقل أثرا في حياته وشعره، لقد اغتيل والده وهو في العاشرة من عمره، وكان الوالد والابن يتبادلان حب فكان الخطب جليلا خلق في نفس الشاعر أثرا[(2)].

فواضح أن الصدمة كانت في نفس الطفل أمته صداها إلى نفسه وهو شاب، فتحولت مع الأيام إلى نوع من الكآبة الدائمة [(3)]، ولا تعتقد أن ما يأتي عن اليتيم من إحساسات كالحزن

---

(1)ينظر 25-26-27-28 Camille Mauchaire
(2)ينظر رزوق ف.ر 40.
(3)المعرفة ع251- 1983 دمشق.

والأسى والحرمان والقهر والظلم وعدم الأمن وحتى انعدام العدالة الإلهية، يختلف من طفل إلى آخر إنما إحساسات تهيئ الأرضية بنفس اليتيم، مواتية لتواجد الثورة والتمرد والسخط وما يشبه ذلك من الإحساسات التي تستولي عليه وتجعله ناقما حاقدا في الحياة.

ولقد تلقى الشاعران وهما طفلان في حضن أسرتهما تربية دينية مسيحية سنجد له أثرها في شعرهما [1].

وكان الحال بالنسبة لإلياس، لقد توقف في عهد تلمذته في اللغة العربية، فنظم الشعر بها، وتحدى أستاذ في معرفة قواعدها، كما أتقن اللغة الفرنسية ونظم الشعر بها، وهو لا يزال صغيرا وقد برهن في هذه المرحلة على نباهته وذكائه وإن كان زمن اتصاله بالمدرسة قصيرا.

لقد تميز الشاعران منذ صغرهما بحدة الذكاء تستحق الانتباه والاهتمام لما سيكون فهذا من فعالية في كتابهما إلى قراءة الشعر الرومانسي [2].

ومما نعرفه هو أن الهيام بمثل هذا الشعر يقتضي سنا متقدمة وتجربة في حياة غنية... لكن كبر الشاعرين لم يكف بالسنين بل يرجع إلى طبعهما البصير الذي نبهته ودربته مبكرا، التجربة الذهنية يقول بودلير [3] أن له من الذكريات ما يفرق مثيلتهما إذ كان عمره ألف سنة وماميل الشاعرين المبكر إلى مثل هذا النوع من التأملات إلا تفسير واحد، وهو نضجهما الفكري واتساع تفكيرهما سبق السنين [4].

---

(1) ينظر بالنسبة لإلياس رزوق ف.ر 64.
(2) ينظر بودلير.
(3) أزهار الشر.
(4)ينظر Rémy chourin 89

وإذا كان ذكاء هذا شيئا محمودا لوجوده كظاهرة عند الطفل، فإن ما سيترتب عنها غالبا ما يكون مما لا تحمد عقباه وذلك أن الطفل بمستوى العقلي يتجاوز ويتعدى مراحل معروفة يمر بالمراحل الطبيعية إلى مد بها الطفل العادي [1].فلا هو ناضج نضج الإنسان العادي الذي مر بمراحل الطبيعية التي مر بها الطفل ليصل إلى النضج. ولا هو طفل في سلوكه اليومي، فأما أن تواتيه الظروف المناسبة فيتحرف، أما الحياة العادية كامتثال للقوانين الاجتماعية أو المدرسية أو الأسرية اليومي.

فأما أن تواتيه الظروف المناسبة فيتفتح ويبرز ويشجع، فيترجى منه خيرا وأما أن تخونه الانسجام مع محيطه فنادرا المتعارف عليه، وكانت هذه حالة الشاعرين في نظري بعدما تفحصن حياتهما فمنذ تلمذتهما في المدارس ظهرت في سلوكهما سمات الغرابة وعدم التكيف مع المحيط[2] .

إذا فكان بودلير قد اهتم من قبل يخلل في عقله فإن إلياس لم ينجح كذلك من مثل هذه التهمة، فقد لقبوه في مدرسة بالمجنون [3]، وقد تمر على أستاذه مثل بودلير مما جعل الإدارة تقرر طرده من المؤسسة [4].

(1)ينظر نفسه 90.
(2) ينظر française porche 91
(3) ينظر الأديب ج6 – 24- 1956 (عادل الأعور)
(4) ينظر الأديب ج6- 24- 1956.

بودلير رجلا كان مغرما بالانتصار قوي النزوع إلى القوة[1] ولم يشك يوما في تفوقه الأدبي وقد وصفه سارتر SARTER بالعجرفة والتكبر[2] .

لم تكن هذه المرحلة بالنسبة لبودلير مجرد مرحلة انتقالية ومجرد إحساس عابر يحسه كشاب في مثل هذا السن، فنزوة الشاب هذه لأزمته وهو رجل، ولم تكن نزوة مؤقتة أتلفها الزمن، بل ملأت حياته وقته طوال حياته.

أما عند إلياس فنجد هذا الإحساس يضعف كثيرا مع مرور الزمن، فيتلاشى ويكاد يضمحل في شعره الذي تلا " أفاعي الفردوس" أما في أفاعي الفردوس فإننا نجده جليا وحادان فهو يتأسف.

أولا تراهم يرتدون	الليل حتى منتهاه
ويستنزفون دم الشباب	ويرقصون على قواه؟
هذا الفتى كانت تموج	بالجوانب وجنتاه
كان الندى يغفو على	أماله وصباه
كانت أزامير الربي	بالأمس تسكر من شذاه
وذرى الجبال إدارته	تقول: " ما أعلى ذراه" !

(1)نفس المرجع ص102.
JP.sartebaudelair(2)

ماذا دهاه اليوم؟ الشهوات تغدق ما دهاه

أما الجمال فإنه لم تبق تعرفه دماه[1]

عانى كل من إلياس وبودلير من ضيق ذات اليد، ومرارته ولضيق بودلير المالي قصة معروفة كان لها مكانها بين المأسى البودليرية التي حياته وغذت فنه [2].

وللمجتمع والحياة العامة حظهما في تكوين نفسية الشاعرين ولقد لاحظنا شبها بين الظروف الاجتماعية التي عاشها كل من الشاعرين، فكان قرن 19 في فرنسا عصر قلق ويأس وحيرة وانقلابات السياسة... حضي بتقديس الشعراء [3]، ولبنان في نصف الثاني من القرن 20 أمراض واضطرابات سياسية واجتماعية عشا في جو متشابه.

وفي قصيدة "الشهوات الحمراء" [4].

أطفئ ضياك وأظلم مثل إظلامي وخلفي في كوابيس وأحلامي

قرب نيرة – ياليل – توقظني إلى العفاف فأنسى عبء أثامي

(1)أفاعي الفردوس ص39.
(2)ينظر مصطفى القصري – الشاعر بودلير.
Français porche p 2020-203-2016-235(3)
(4)أفاعي الفردوس ص41.

أحس في جسدي شوقا يعذبني ففي دمي سورة كالخمر في جامي

لم يبقى في حفنتي نار لغير هوى يودي بجسمي كما أودعا بأجسام

حبي النقي كإيماني القديم مضى وهم هذيت به من بعض أوهامي

أترى الغصن مذيمر عليه عاصف الريح تذوي زهوره

لقد تعذب إلياس عندما رأى ما تمثله في الخيال أعز من أن يكون دقيقة تدرج على الأرض [(1)].

(1)ينظر رزوق –ف.ر ص186.

المبحث الثالث: هل هناك تشابه بين التجربة الحياتية والشعرية للاثنين؟

هناك تشابه كبير بين ظروف حياتي الشاعرين الخاصة والعامة وهناك تشابه حتى في مصيرهما [1] وقفنا عند أوجه التشابه في حياتهما من الطفولة إلى الرجولة وفحصنا لمواقفهما إزاء أحداث متشابهة، وتتبعنا سلوكياتهما الغربية المتشابهة فهدف أولا إلا الإيضاح الأسباب التي قربت بين الشاعرين من مواطنين مختلفين وبيئتين مختلفتين ، وجعلت إلياس يولي بودلير " وأزهاره" اهتماما خاصا [2]، تعتبر الظروف المتشابهة في حياتي الشاعرين عنصرا ديناميكيا في عملية الخلق الإبداعي لدى بودلير.

أما عند إلياس فكانت العامل صوره وتعابيره يعبرها عما يختلج في نفسه أو بمعنى آخر وجدت هذه الظروف المتشابهة قابلية واستعداد عند إلياس لاستعاب الفكر البودليري.

كما أن الإنتاج الأدبي يتغذى من عوامل عدة منها: الظروف الحياتية الخاصة في البيت والأسرة خلال فترة الطفولة ثم خارج البيت في الإطار المدرسي ثم الظروف الاجتماعية بما فيها السياسية والاقتصادية والاتجاهات الفكرية والمعتقدات والقيم المشتركة بين الناس[3] ، ونجد بودلير نفسه يؤكد على الاستمرارية الطفولة في حياة الإنسان، فيرى بأن هذه الطفولة تبقى ماثلة في فنه رجلا، ويرى بان كل عمل فني إذا ما تأملناه بعمق أحسسنا وكأن نظرة طفولة المؤلف تخترقنا بكل ما تحمله من انطباعات، فتصب في أنفسنا من النور ومن الظلمات الروحانية،

---

(1) عيسى الناعوري.
(2)ينظر تاعوض، إلياس أبو شبكة 11.
(3)ينظر G Bouthoul : Les mentalités 29-23

ويكفي أن يكون للطفل إحساس مرهفا فيضخم كآبة صغيرة[1].

يرى ماكس مليز بأن الإنسان عندما يكبر " ذكرى كبرى" تحتفظ بالأحداث الهامة بالنسبة له من كل المراحل التي اجتازها في حياته، فإذا كان فنانا في إنتاجه مدعمة وملونة.

وقد امتزجت حياة بودلير بفئة وأثرت فيه أكثر من غيره [2]، يرى أغلب دارسيه عدم إمكان الفصل بينهما.

لقد نالت العلاقة بين تجربة بودلير الحياتية وتجربة الفنية أهمية كبرى في مجال الدراسات المختلفة لشعره، كما لوحظ أن أهم وأخطر حدث في حياته، ما مر عليه عالمه الشعري هو زواج أمه، كان مصدره الأول إحساسه القوي بالوحدة والتشدد المسيطر على إنتاجه الفني [3].

قال جورج غريب "... أنا لا أعرف شاعرا تلقى عيشه وشعره على الدفاع كما التقى عيش أو شبكة وشعره، من هنا كان سر إعجابه يولي الدين يكون الأديب الذي جعل أدبه تاريخا لحياته [4].

هذا القول يصح على إنتاج إلياس لا يصح على " أفاعي الفردوس" ألم يقل إلياس " أن العلم ملئ بالبلهاء والحمقى وللئام الذين يرون في الفن والأدب إلا صورة تمثل أخلاقهم البريئة، وسحنتهم البشعة الممسوخة، إني لأسخر من جميع هؤلاء وأحتقرهم وإن يكن الحظ قد وضعهم على قمة المجد الزمني وإني لأعني أن أرفس برجلي التي وطئت بلاط هؤلاء الجهة المدعين..... [5].

---

(1)ينظر Français proche -20

(2)ينظر Max miler .p 206- 210

(3)ينظر نفسه ص 134.

(4) جورج غريب – إلياس - دراسات وذكريات ص 96- 97.

(5) مؤلفين – دراسات وذكريات ص 12- 13.

وصحيح ما يراه ماكس ملتر من إدراك النص الأدبي القائم على التجربة الحياتية والأدبية، يكون أهون إذ بحثنا في ردود الأفعال الصادرة عن طبع صاحبه ومزاجه، وفي ثقافته وفي الضغوط الاجتماعية وفي أحداث حياته الخاصة، لكن هذا لا يعني أن معرفة هذه الجوانب تكفي وحدها شرح العمل الفني والكشف على أشراره، لكنها تبقى المكونات أو الأدوات التي يقوم بها لفنان لفنه الخاص [1].

إذ كان لحياة بودلير ومن بعده إلياس أثر في إنتاجهما فهذا لا يعني أن فنهما كان تاريخيا لحياتهما، يرى اللويدج بأن أزهار الشعر جميلة اجتماع أحساسين رقيقين لدى الشاعر الأول قلبي والثاني خيالي ويرى بأن الأول يبقى فعله سلبي في عملية الخلق الإبداعي فشعره شجرة من هذه البذرة لكن لا تشبهها في شيء، لقد انطلق في شعره من ذاته وتعداها[2] .

لم يكن مجرد ترجمة ذاتية، وما كان ذلك بغية ما حب أزهار الشعر في " أفاعي الفردوس" ولا صاحب " أفاعي الفردوس" لكن هذا لا يسمح لنا بنفي وجود أثر حياتهما في شعرهما كما يجزم ذلك الدكتور عبد الغفار مكاوي على بودلير في جزء من قوله: ... فلابد من قول بأن بودلير أول شاعر حديث تنفضل حياته عن أدبه... والكلمة الشعرية لديه لم تعد تصدر عن وحدة تجمع بين الشاعر والشعر الحي كما حاول[3].

---

(1)ينظر Max Miler .P 134
(2)ينظر التيارات الأدبية الحديثة في لبنان الشاعر ص 143.
(3) ثورة الشعر الحديث من بودير إلى العصر الحاضر . ص64.

أراد بودلير أن يقدم للمرء من خلال تجربته الخاصة، وصفا دقيقا للمأساة التي تعيشها الإنسانية في الحياة من جراء عواطفها وإحساساتها المتناقضة التي لم تبلغ العلم بعد اكتشاف حقيقتها ومصدرها [1]، وفي حلقة الوضعية الإنسانية يلتقي بودلير مع الكثير من الشعراء على اختلاف أجناسهم ولغاتهم واعتقاداتهم وذلك بخروج من الذاتية الشمولية، أو بتعبير آخر بتطوره من ذاته إلى الذات الإنسانية وهذا ما جعل أثر شعره يخرج من وطنه ويتعدى حدوده ويخترق من غير موعد الأوطان والنفوس [2] .

(2) ينظر مصطفى القصري ص 29-30
(3)أفاعي الفردوس ص05.

المبحث الرابع: رأي النقاد حول تأثر إلياس بأفاعي الفردوس في أزهار الشر:

الأدباء هذه الفترة قادرين على إقامة موازنات بين ما ظهر عندهم من الشعر وما عرفوه عن الشعر الفرنسي حيث ينسبون كل شعر أو نثر للمدرسة الأدبية الفرنسية [(1)].

قال هوعو عن بودلير لما ظهر ديوانه " أزهار الشر"، إلا أننا نجد الأدباء يختلفون حول مصدر هذا الجديد الذي أتى به إلياس هل هو له أمر لغيره؟ كان عدد قليل ينفي تأثر إلياس بغيره كالدكتور شوقي ضيف يرى فرقا كبيرا بين " أزهار الشر" و "أفاعي الفردوس"... تلك الأزهار نبتت وازدهرت في تربة خبيثة ومن هنا تكون معبرة عن صاحبها، أما أفاعي الفردوس فنشرت في الخارج وجاء الشاعر يصور سمومها...[(2)].

هناك الفريق الثاني فيرى إلياس تأثر في ديوانه "بأفاعي الفردوس" بغيره وأنه... اشتق من شعراء الإفرنج الذين اتفق مزاجهم ومزاجه[(3)].

فهناك من بلغ بهم التطرق غلى حمل لواء الهجوم على إلياس واتهموه بالسرقة سرقة أعمال غيره من الشعراء الرومانسيين من بينهم بودلير حيث قال أحدهم عن إلياس... وبلغ من قحة أنه غزا حتى عنوان ديوانه فاختار بودلير عنوانا لأشعاره "أزهار الشر" أبو شبكة في التناقض

---

(1) منيف موسى ص25.
(2) شوقي ضيف – دراسات في الشعر العربي المعاصر .ص167- 168.
(3) المكشوف العدد 192- 8-1939.

وصعر ديوانه بعنوان "أفاعي الفردوس" حيث ننشد قصيدته "القاذورة" فقلده إلياس فيها وسرق معانيها في قصيدة "الحلم" لفيكتور هيقو[1].

جرد إلياس طابعا شخصيا رغم تأثره بالسرقة وإن كان في قوله جانب من الحق[2] .

يرى مارون بأن هذه "الأفاعي" عريقة الحسب والنسب[3]، إلا أننا نجده في مكان آخر يتعرف بوجود أثر "أزهار الشر" في "أفاعي الفردوس" حيث يقول...عنوان افاعي الفردوس يذكرنا شارل بودلير في زهور الشر، لا ينقص شاعرنا إلا طلبة الشيطان أبو شبكة وهي مجموعة [4].

مارون تأثر لدراسته لديوان أبو شبكة بالدراسات التي جاءت حول "أزهار الشر" وعلى سبيل المثال يقول: "لا جذع أن أقول لك هذا فالوردة تعيش جذورها حيث تعلم، وتعطيك أثمارا ينعم لها أنفك ويزداد صدرك والتفاحة كذلك، والشعر شيء كهذا وإلياس في" أفاعي الفردوس" من الشعراء الملعونين وأقوى حواسه اللمس والبصر.[5]

هناك دراسات أخرى غير دراسة مارون عبود حول الديوانيين "أزهار الشر" و" أفاعي الفردوس" كلا على حدة لكنها تتشابه إلى حد الاختلاط... وإذا دل هذا التشابه بين الشعرين، ونذكر بالمناسبة كتاب إلياس أبو شبكة شاعر الجحيم والنعيم لإيليا الحاوي الذي نستنشق ونحن

---

(1) الأمالي العدد 30-1935 -1938 عن رزوق 196-197.
(2) المرجع نفسه.
(3) مارون عبوء ص100.
(4)المرجع نفسه ص103.
(5) مارون عبود ص101.

نقرأه كأنه دراسة من العنوان إلى الخاتمة قائمة على ديوان "أزهار الشر" وعيسى الناعوري بعدما يجد هو نفسه تشابها بين الديوانيين، يجده غير ما يدعو به ملاحظته على محمود طه وإبراهيم ناجي في بودلير لنطبق كل الانطباق على إلياس في ديوانه "أفاعي الفردوس" بشكل خاص[1] .

هكذا نلاحظ أن التشبه بين "أفاعي الفردوس" و "أزهار الشر" لم يعد خفيا على دارسي شعر إلياس وإن كان حكمهم مبينا على ملاحظات عامة ما تزال تحتاج إلى تبيين وتوثيق مما نحاول الوصول إليه في الفصول القادمة[2] .

---

(1) عيسى الناعوري ص133-134
(2) مجموعة مؤلفين –دراسات وذكريات ص35-36.

المبحث الأول: تأثر إلياس بمنهج بودلير:

منهج بودلير لديه أهمية بالنسبة لطموح إلياس فكان متنفسا حين لاحظنا التشابه الموجود بين حياتهما الشعرية والأسرية والاجتماعية... هيأت الأسباب لتأثر إلياس في ديوانه بديوان بودلير.

حيث نجد الثنائية الفكرية نفسها يستخلصها إلياس في أفاعيه ويعلن عنها ابتداء من العنوان ولعل ما يؤيد رأينا أن ننظر في تحليل جورج غريب بنفسية إلياس الشعرية في "أفاعي الفردوس" وكأنه مستوحى من "أزهار الشر"[1].

فأفاعي الفردوس يعبر بكامله عن صراع محترم لا يعرف الهدوء، وتمزق نفسي وانفصام بين عالم المثل والأخلاق وعالم المادة والشهوات وإلياس فيه مثل بودلير متمردين مزعجين، الأول من الواقع والثاني من المثالي[2] .

وهذه القصيدة إلياس " القاذورة" ونحن نقرأها نحس بقصيدة بودلير " الصوت".

حلمت بدنيا ـليتها لا تبدد	لذائد أحلام ولا كان لي غد
أظن بإنشادي على الناس سحرها	وهل في الورى أذن قمت أنشد
وأوقدت من عورا بي شرها حبس	كأني روح في جثام مشرد

(1) جورج غ- دراسات وذكريات ص81.
(2) أزهار الشر ص183.

تفيق من حلم الشهى إلى الرؤى　　　كوابيس في يقظتنا تتشرد

فألفيت دنيا من فواجهها الورى　　　على بابها لوح من الرق أسود

فالياس مثل بودلير أحب علم حلم، عالم المثل دائما في هوة بين الحلم والواقع وأسير رؤيتهما الجلية للعالمين وهذا هو مصدر ألم بودلير الذي تبناه إلياس في أفاعي الفردوس، اختار بودلير الصراع والتمزق والانشعاب وعبر خلال ديوانه عن إحساس المحدق الذي استولى عليه منذ صباه والتفكك الموجود في كيانه الناتج عما يعيشه ويحسه ويراه من تناقض بين الحلم والشهوة والواقع والواجب....[1]

أراد إلياس أن يكون مثل بودلير ضحية وعيه الحاد بالمأساة الإنسانية وعلى شاكلته يقيم شعره، على بركان من نار إذ قال في قصيدة " شمسون"

فاسقطي يا دعائم الكذب الجا　　　ني وكوني أسطورة للدهور

محق الله في شر ظلامي　　　فلتضيء في الحياة حكمه نورى

إن تكن جزت الخيانة شعري　　　في ظلالي فقولي في شعوري [2]

(1) ينظر R.B. CHERIX. P67

(2) أفاعي الفردوس ص25.

المبحث الثاني: الجانب الفني عند الشاعرين:

أبو شبكة من وراء الشعر الرومانسي لأن شعره اتسم بالخصائص الرومانسية، انطواء على نفسه وحزن ونفس القلقة واللجوء إلى الطبيعة أسلوب سلس ليّن الألفاظ متلائمة، الجدير بالملاحظة هو أن هذا الحكم إن صح بالنسبة للألحان وإلى الأدب ونداء القلب هو غير صحي بالنسبة إلى أفاعي الفردوس لأننا لم نجد به السعادة[1]، حيث أن أفاعي الفردوس يختلف عن باقي دووين إلياس وهذا وحده شاهد على صاحبه من اختلاف المذاهب الفنية كما قال: " المدارس والمذاهب الشعرية سجون وقيود[2].

قال فالحياة لا جنسية لها ولا أوضاع ولا حدود وهي أوسع من أن نضع لها حدودا ومقاييس، وبهذا نجده يقترب من موقف بودلير في ديوانه من هذه المذاهب، جمع بين النظريات واستوعب مبادئ الجماليات المتناقضة في الكلاسيكية والرومانسية والبرناسية، فجمع بينها مثل الخرفي اعتنق كل أشكال الجمال[3].

إلياس يتيم بشعر بودلير أدرك أهمية اتجاه بودلير الفني، فامتد بجذوره، معلنا بأنه لا يكون من الشعراء الذين سيجنون أنفسهم في مذهب من المذاهب، وهذا ما يوجد في ديوانه، حيث لا نلمس حبا للطبيعة بل تحديا لها، تماما مثل ماهو موجود عن بودلير بخلاف شعر الرومانسيين ورجوعه إلى الطبيعة رغبة منه[4].

(1) ينظر رزوق ف.ص 205-209-211.
(2) ينظر مقدمة أفاعي الفردوس.ط02. دار الكشوف لبنان.ص05.
(3) ينظر Rebert Benêt chénx commentaire de fleurs du Mal 1962
(4) ينظر A guettant lois 25-26

كقوله مثلا في قصيدته " نشيد الخريف"[(1)]

ستعوض قريبا في الظلمات الباردة

فوداعا يا تلألؤ أضواء أيام الصيف القصيرة

إني لأسمع من الآن سقوط الحطب على البلاط

كأنه إيقاع أنغام جنائزية

سيغلغل الشتاء كله في كياني

عض حقد هول أشغال شاقة

وكالشمس في جحيمها القطبي

استخدم إلياس الطبيعة ووظفها لصالح الإحساس بالسلم في قصيدته "الشهوات الحمراء"[(2)].

أطفئ ضياك وأظلم مثل إظلامي	وخلني في كوابيس وأحلامي
فربّ تيرة – ياليل – توقطني	إلى العفاف فأنسى عبء آثامي
أحس في جسدي شوقا يعذبني	ففي دمي سورة كالجمرة في جامي
لم يبقى في حفنتي نار لغير هوى	يودي بجسمي كما أودي بأجسام
حبي النقي كإيماني القديم مضى	وهمّ هذيت به من بعض أوهامي!

بودلير كره كل ماهو طبيعي في المرأة والشهوات الطبيعية وكذلك إلياس كره ماهو طبيعي فنفر من كلّ الأهواء الطبيعية.

(1) أزهار الشر، ترجمة مصطفى القصري.ص128.
(2) أفاعي الفردوس ص43.

المبحث الثالث: في نظر الشاعرين ماهو الجمل و أنواعه؟:

لم يقصر الجمال الذي نشده الشاعران على الزخرف ، فبودلير " لن يقدر وخرف جمال الذي نشده الشاعران على الزخرف، فبودلير لن يقدر زخرف جمال ما على إشباع القلب شهم كقلبي"[1]، يحاول تحديد وتعريف ما يسميه جماله قوله" إنه شيء مضطرم وحزين شيء مهم، يترك جملا لتخمين..." يؤى في الجمال خليط من اللذة والخوف يحمل في ثناياه الكآبة والتعب والأسف والندم والشقاء وفي الوقت نفسه، لا يرى أن الفرح يتعارض مع الجمال[2]، إن الجمال الذي وجدنا صداه في أفاعي الفردوس جمال غريب ومن سماته البارزة الغرابة ولقد وصف النقاء أزهار الشر بالغرابة العميقة وأقروا بأن بودلير كان يجد اللذة في إحداث الدهشة وإثارة الاستنكار[3].

الجمال يستحيل تحديده في إطار معين، أو وصف دقيق لكنه يعد الشاعر بإيصاله إلى المثال الأعلى الذي يتوق إليه دوما.نجد الشاعر يحلق في أحلام تظل جو وفاء رغم ما يصاحبهما من آمال والجمال الذي ترتاح له نفس بودلير ليس بالجمال البسيط يقول " سأحاول إن شئتم تطبيق أفكاري على شيء محسوس.على ماهو أشد إغراء في المجتمع على وجه المرأة مثلا، رأس جذاب جميل...[4].

---

(1) ينظر أزهار الشر ص28.
(2) pascal Pia .p88
(3) ينظر Ailouis. P08
(4) صلاح لبكي Pascal Pia .p 127 Traduction

يقول إلياس في وجه المرآة:

فتلاشى اللهيب في سيد الغا ب أمير المغاور المنصور

والعظيم العظيم تضعه أن فيتنقاد كالحقير الحقير

ملقيه ففي أشعة عينب ك صباح الهوى وليل القبور

وعلى ثغرك الجميل ثمار حجبت شهوة الردى في العصير

هوة أطلعت جهنم منها شهوات تفجرت في الصدور[(1)]

وهناك الجمال في أفاعي الفردوس وأزهار الشر، جمل المنفذ – جمال القاتل – جمال الخادع وستكون المرأة هي البطلة.

➢ **الجمال القاتل:** فيه الثورة والتمرد والرغبة والسخط والحقد وحتى الانتحار، فجاءت صوره مرعبة تصعد منها موسيقى عنيفة حزينة تملأ جو الشعر بنغمات اليأس والضجر إنه جمال ينفي الوقع وينفي الشاعر نفسه، يؤدي بنفسه إلى الهلاك، ويقول فرانسوا بورشي الرغبة في الهرم والنزوع إلى قتل[(2)].

إذا كان الشاعر يحس ويعي الشر العالق به، فإنه يحس ويعي الوقت نفسه بأنه يستحيل الخلاص منه، ومذهبنا يحسها الشاعر "نملا" يتحرك في جرح قديم وإهانة تدوسه باستمرار ، وفي الوقت نفسه يحس بأنه موجود بوجودها لا مفك له منها.

---

(1) أفاعي الفدروس شهنتون ص21.
Babelai Histoire d'un âme p245 (2)

ويلجأ بودلير ومن هذه إلياس إلى الغرائز الجنسية اعتقادهما الفكري في الفن حيث يقول إلياس:

وارقصي إنما البراكين تغلي   تحت رجليك كالجحيم النذير

وتغني بمصرعي فكثيرا   ما سمعت الفحيح في المزمور

أصبح الليث في يديك أسير   فاطرحيه سخرية للحمير

واجعلي الغل رمز كل صريح   واليواقيت رمز كل غدور[1].

قصيدة بودلير "الهامة" لها أثر في قصيدة إلياس " الصلاة الحمراء" تتساوى رغبته في الخبرة والنور في البقاء في الظلام حيث يقول [2]:

رباه عفوك إلى فرجان   جوعت نفسي وأشبعت الهوى الفاني

تبعت في الناس أهواء محرمة   وقلت للناس قولا عنه تنهاني

ولم أفق من جنون القلب في سلبي   إلا وقد محت الأهواء إيماني

فهرت أغدوه عارا   والنفس في تيهان

قال بودلير العاشق يلهث مدخن على جميلته كأنه محتضرا يلامس قبره[3] الحب يمزق الشاعر ولكنه لا يستطيع الابتعاد عنه بل يضحي .

تخيلي يابنيتي   تخيلي ياشقيقتي

عذوبة رحيلنا إلى هناك لنعيش معا.[4]

---

(1) أفاعي الفردوس ص21
(2) نفس المرجع ص50.
Les fleurs du- mal- Hymne a la beauté p28 (3)
(4) أزهار الشر ترجمة مصطفى القصري ص79.

قال إلياس " حديث في كوخ"

أيها الفجر ياجبيب الشقيبا ن ويا مشعل الهوى والشباب

أيها الشاطئ المستر إلى المو ج حديث العشاق والأحباب

أيها الكوخ والعيون السكارى بخمور لم تمتزج بعذاب

لا تجسدي قلبي فلم يبقى فيه من بناء الماضي سوى أخشاب

يبقى في هذا الجمال سرا خفيا يشير دوما الاهتمام صعب جمال مركب من المتناقضات هذا الجمال البودليري أهم العناصر التي قام عليها هذا الجمال حيث تأثر بها إلياس هي حساسية في بناء الشعر والجرأة الفنية[1].

➢ **<u>الجمال الخادع:</u>** معروف بأنه زائل سرعان ما يزول لتظهر الحقيقة البشعة والشاعر واعي أنه النور الذي يراه ليس إلا خداعا ويخفي وراءه الظلمة فكان الجمال الخادع في حب مسلكا بانفعالات المؤقت حيث إلياس:

ملقيه بحسك المأجور وادفعيه بالانتقام الكبير

إن في الحسن ياء ليلة أفعى كم سمعنا فحيحها في سريرا

ملقيه فالليل سكران واه تلوي في خدره المسحور

وعن الليث للبوءة كالظب ي فما فيه شهوة للزئير

---

(1) ينظر Max Miller p141

جمال الذي يبين السعادة لكنها ستزول ويحس صاحبها بالألم هذه الشهوات تعتبر القائد الرجل إلى خطأ الأكبر إلياس لديه " الشهوات الحمراء" وبودلير " ملكة المحرمات" [1]قال بودلير " حب الكذب"مسكين الجمال العظيم إن نهر بكائك الجميل يصل إلى قلبي الحائر كذبك يسكرني وروحي تشرب.

يرى الشاعر في هذا الجمال خدعة فهو يتشبع به لأنه يؤثر في النفس[2].

الذكر والأنثى فهما إخوان مشتركان في النقص بينهما شفقة أخويه ممزوجة بالهلع والرعب تظل خلفية قائمة دائمة وراء رمز المرآة للجمال الخادع والقاتل معا، فالشاعر يرى في نفسه ما يراه في المرآة يقول إلياس:

بؤر مسترة الفساد بخدعة   نكراء بالخز الشهي مرقعة

أسليلة لفحشاء نارك في دمي   فتضرمي ما شئت أن تتضرمي

أنا لست أخشى من جهنم جدوره   مادام جسمي ياسدوم جهنمي

طوفت بي ميتا بأروقة اللظي   فحملت تابوتي وسرت بمأتمي[3]

يقول بودلير:

يظمئ عطشك ويصلب لبشرتك

أنتن اللواتي لحقتن روحي إلى جهنمكن

أخواتي المسكينات أحبكن بقدر ما أشفق عليكن

مهما أراد الإنسان أن يتخلص من ويعوض ذلك الفراغ الذي يحس به لن يفلح.

---

(1) أفاعي الفردوس "الشهوة الحمراء " ص41.
(2) أزهار الشر "حب الكذب" ص110.
(3) أفاعي الفردوس "سدوم " ص35

استخدم القدر المرأة لإسقاط الرجل واستخدمه لإسقاطها ويصبحان إخوة ربطت بينهما البحث عما يحسان به، وورثهما نقص جعلهما يشقيان في الحياة لتعويضه والبحث عما يحسان به يقول بودلير :

ملعون هو أبدا الحالم غير النافع

الذي أراد في غبائه أن يكون الأول

ليتكفل بمسألة عميقة متعذر حلها

فيمزج بأمور الحب الشرف![1]

لن يسخن ذاته المشلولة أبدا.

(1) أزهار الشر، ص196.

المبحث الرابع: مميزات الجمل:

- **إحساس في الشعر:** كان كل من إلياس وبودلير مذنبان وضحيتان إنه إحساس مركب وإحساس بالضحية والألم.

لقد عرف كل من الشاعرين بالإحساس القوي والوعي الحاد بمصير الإنسان ومعرفة النفس البشرية والضمير الحي الذي لا يسهوا ولا ينام، حيث كان ذلك مصدر إلهامهما وإبداعهما الفني في تحليل عواطف والأحاسيس[1].

اعتمد إلياس مثل بودلير مقياسا لتحليل النفس البشرية والحكم عليها، فاتخذ كل منها وعيه الحاد في الجرح الذي يمثل الواقع المعيشي، يبقى هذا التصور للحياة كابوسا مسلطا على فكرهما، ويتلذذان بإحياء الجروح فيحدث ألما مرغوبا فيه ومقدسا عندهما يعتبروه بركة من عند الله مادام فيه وسيلة للخلاص[2].

يقول إلياس:[3]

أطفئ ضياك وأظلم مثل إظلامي　　　وخلفي في كوابيسي وأحلامي

فربّ نيرة بالليل! تقضني　　　إلى العفاف فأنسى عبئ آثامي

(1) ينظر Lloyd J.A.p120
(2) ينظر جورج غريب ،دراسات وذكريات. ص110.
(3) أزهار الشر " شهوات الحمراء" ص90.

أحس في جسدي شوقا يعذبني ففي دمي سورة كالخمر في جامي

لم يبقى في حفنتي نار لغير هوى يودي بجسمي كما أرى بأجسام

ويقول كذلك تلذذ بالألم وهو الزاد الوحيد الذي يهيئ النفوس القوية للمسرات الإلهية ربي إني لا أعرف إنك استقيت مكانا للشاعر في ركن من أقداسك السماوية الألم هو المجد الوحيد الذي لا تأكله النار ولا تراب.

أن يكون كل من إلياس وبودلير جلاد نفسه وستكون قصائد " أزهار الشر" و "أفاعي الفردوس" أحسن شاهد على هذا الصداع القاتل وتحطيم النفس بالتعذيب الروحي ويقول كذلك[1]:

ياحسرة الليل كم توحين من حلم ميت لقلب بغنى أخت آلام

أو قلب أرملة جار الزمان على عفافها فأماتت قلبها الظامي

يقول بودلير: [2]

كنت أشكو إلى الطبيعة

ماشيا في غير هدى وفي فكري

أسس يضيء الخنجر على فؤادي

(1) Les fleurs du mal l'Vème diable .p85

(2) أفاعي الفردوس ص41.

فرأيت في عز النهار

عمامة عاصفة مأتميه كبيرة، تنزل على رأسي .

- **<u>الصراحة الفنية:</u>** استأنس إلياس في أفاعيه بأزهار الشر كانت أراضي سخية طبق كل منهما نظريتهما الفلسفية والفنية فكانت الدعارة والحرام الفتنة، الشهوة، اللذة ... ميدان تجاربهما الجريئة والعلاقة الجنسية بصفة خاصة لأن مفهومهما مسيحي للوجود الإنساني يقوم على أنه سقوط في الخطيئة والعلاقة الجنسية سمة بارزة... يقول " أهم ما عنى به الشاعر تصوير نزعة الشر في نفس البشرية، وما يكون لها من أثار في المجتمع[1].

قال إلياس:

أميرة الشهوة الحمراء إن دمي   من نسلك الهادم المهموم فاحترمي

خلقت تحترفين الموت فاقتربي   مني فإني احترقت الموت من قدم

حملت منجله في العهر منتقما   من النساء فهاتي لتنتقمي

هاتي من العهر أشكالا ملونة   نمهر بها بعضنا بعضا ونتهدم

لقد كسر إلياس ذلك ليشق طريقا جديدة في الشعر العربي الحديث كما يشهد له بذلك بعض النقاد في قوله: " فتح جديد في عالم الشعر العربي على الإطلاق، إذ لم يسبق شاعر قبل أبو شبكة

(1) رفائيل بطي، الثقافة العدد 426. 1974

أن تعد إلى أعماق النفس البشرية وعزاها من شهواتها ورسم هذه الشهوات في صراحة[1].

ونحن نتشارك شهادتهم مادمنا داخل حدود الأدب العربي الحديث لا يمكننا أن نقرأ لبودلير كما قرأ إلياس وفهم مدلولها الفلسفي- حين نقول ان هذه الجرأة عنصر أصل ظهر ذلك في ديوانه وما هذا إلا جزء من مقومات شعر بودلير.

فكل هذا يدل على أن إلياس اقتدى بجرأة بودلير فكان تابعا لا مبدعا في هذا الطريق، وما يمكن قوله بجرأة هو أن تأثره كان عن اقتناع نظري كامل باتجاه بودلير الفني والفلسفي معا، أن جرأة تتغذى كما سبق من موقف الشاعر تجاه الوجود الإنساني كموقف فلسفي خاص به[2].

يرى إلياس مثلما يرى بودلير أن ضعف الذي يكسر إرادته ويجعله لا يستطيع الامتناع عن السقوط في الخطيئة حيث يقول "سدوم" :

أسليلة الفحشاء نار ك في دمي فتضرمي ما شئت أن تتضرمي

أنا لست أخشى من جهنم جذوره مادام جسمي ياسدوم جهنمي

طوفت بي ميتا بأروقة اللظى فحملت تابوتي وسرت بمأتمي

كذلك يقول إلياس في قصيدته " شهوات الحمراء":

وشرفي يدك الصفراء فوق هوى سيل في محجريه الجهد والتعب

ولتكن هذه الإشارة رمزا لا ضفرا على الملذات مرا

لونها بالاصفرار إلى أن يحتو الموت نزعها المستمر

(1) الكشوف العدد 173-6-1938
(2) ينظر في قصيدتي الشاعرين شمسون إلياس وإلى القارئ لبودلير والياحاوي ج02-44.

أطفئ ضاك فإن النور يذكرني أمسي وتلق روحي هذه الشهب [1]

بودلير أدرك خطوات الشهوات في حياة الإنسان فالدخل عالمها ولم يتراجع ويتمثل هذا السبب برجع الدارسون إليه العمق في الإحساس قال أحدهما أن شعر بودلير رؤية حادة لحقيقة عميقة ولقد كشف إلياس كل ذلك واستمد كل منهما ثقته بنفسه حيث قال إلياس:

غير أني ولي يراع مدمي سوف ينقي ذكرى وتنقي دمائي

ستقول الأجيال كان شقيا فليقدس في جملة الأشقياء

ويرفع الحب في كل زاوية من القلوب فريحا خالدا عالي

وقال بودلير في قصيدته:

كمركب ساعده شمال كبير

وبعث عقول الإنسانية ذات مساء كالحلم

ذكرك مثل الأساطير المربية [2]

تميز سلوك الفني لإلياس وبودلير بالجرأة حيث خاض في عالم يتخوف البوح به كل الناس ليخرجا منه بجمال فني يمتع الناس، كل من أفاعي الفردوس وأزهار الشر أثار استنكارا، حيث لم يكن لهذا استعداد لتلقي مثل هذا الشعر[3].

(1) أفاعي الفردوس " شهوات الحمراء"
Les fleurs du mal (je te donne ces vers afin que…) p45 (2)
(3) ينظر مكشوف ع-1939.211

الخاتمة:

وهنا أقف بفكري وقد أنبعه الغوص في هذا البحر الواسع الذي لا ساحل له وتحليق في هذا الفضاء الرحب الذي لا حد له أرفع قلمي هنا معترفة أنني لم أوفي الموضوع حقه فالحديث عن إلياس وبودلير ستظل جهود الأدباء والشعراء متضافرة عليه إلى أجل غير مسمى.

كانت مواضيع بودلير لها أثر بليغ في " أفاعي الفردوس" حيث نستبعد أن إلياس قد فكر في هذه المواضيع قبل إطلاعه على "أزهار الشر" متشبعة بالتراث القديم، لم يهتد إلى التأليف بينها بحيث تبدو له في شكل متكامل إلى أن أطلع عليها في شعر شاعر من بلد غير بلده وزمن بعيد عن زمنه حيث اتبع خط الفنية لبودلير لأن إلياس رأى في نفسه، كانت مميزات وخصوصيات مهدت لظهور الرمزية في الأدب الحديث يث استفاد إلياس من ذلك.

في هذا البحث وجهان ديني وجمالي دعوة الإنسان على المستوى الديني " الوحدة الإلهية" والجمالي الوصول إلى تجربة نفسية تحدد كل معطيات الحواس يحاول إلياس جمع بين وجهين رمزية بودلير شكل يجعلنا نحس بوجه الجمالي في " أفاعي الفردوس" نجد الغرابة الدهشة الجرأة الفنية.

من يعيش مع إلياس في جو " أفاعي الفردوس" يستحيل أن يخرج منه دون أن يتأثر، حيث أرى أن شخصية إلياس لم تكتمل فيما خلفه من أعمال وأثار أدبية لأن الموت خطفه وهو يواصل مشواره الأدبي.

ويعد بحثي مبادرة ضمن مجال واسع بين الدراسات الأدبية وذلك لما لهذا الأخير من

دور بارز بين في أصول اللغة العربية التي هي أساس قومية الفرد ورمزا وهوية لشخصية.

- **باللغة العربية:**

1. أدونس علي أحمد سعيد، **مقدمة للشعر العربي**، دار العودة لبنان، بيروت بدون طبعة سنة 1976.

2. إلياس أبو شبكة، **أفاعي الفردوس**، ديوان دار المكشوف ط02، سنة 1938.

3. إلياس أبو شبكة، **روابط الفكر والروح بين العرب والفرنجة**، دار المكشوف، لبنان ط02 سنة 1945.

4. إليا الحاوي، ألياس أبو شبكة، **شاعر الجحيم والنعيم**، دار الكتاب اللبناني، بيروت بدون طبعة سنة 1980.

5. بديع حقي وجودت الركابي، **محاضرات الموسم الثقافي**، مطبعة وزارة الثقافة والإرشاد القومي في الغقليم السوري، سوريا 1960.

6. جورج غريب، **أعلام من لبنان والمشرق**، دار الثقافة بيروت 1968.

7. جورج غريب وإلياس أبو شيكة، **دراسات وذكريات**، دار الثقافة بيروت 1979.

8. حلمي مرزوق، **تطور النقد والتفكير الأدبي الحديث في الربع الأول من القرن العشرين**، دار النهضة العربية، بيروت 1956.

9. رتا عوض وإلياس أبو شبكة ط01، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت 1986.

10. سامي جورج خوري إلياس رحيم، إلياس أبو شبكة، **في غلواء دراسة الديوان**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.

11. شوقي ضيف، **دراسات في الشعر العربي المعاصر**، دار المعارف مصر ط04، سنة 1969.

12. صلاح لبكي، **التيارات الأدبية الحديثة في لبنان**، جامعة الدول العربية، بيروت سنة 1954.

13. عبد الغفار مكاوي، **ثورة الشعر الحديث من بودلير إلى العصر الحاضر**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر سنة 1972.

14. غالب غانم، **شعر اللبنانيين باللغة الفرنسية 1903-1968**، منشورات الجامعة اللبنانية قسم الدراسات الأدبية، بيروت سنة 1981.

15. منيف موسى، **الشعر العربي الحديث في لبنان**، دار العودة بيروت سنة 1980.

▪ **باللغة الأجنبية:**

1. Les Fleurs du mal – **Introduction- Relevé de variantes et notes-** par Adam Edition garancier fréres.paris 1961.

2. Benjamin fondante : **badelaire et l'expénece du gouffre** ; pierre Seghers 1974.

3. Français porche ; **badelaire d'une âme** : Flammarion édition 1944.

4. Gaston Bouthoul- **les m'entés (que sais :je?)** presse universiade de France 1972.

5. Max taco pet . **lecture de fleurs du mal Baudelaire thème** :misère et beauté : concoure scientifique 1985-1986 :Blin paris.

- **الدوريات:**

1. ع.10-1942 ،**الشعر الرمزي** ، نقولا فياض.
2. ع3- 1953، إلياس أبو شبكة، **بين نداء الذكرى وجاذبية الهاوية**، علي سعيد.
3. ع3- 1953، **في ذكرى إلياس أبو شبكة**، أحمد أبو سعد.
4. ع6- 1956، **إلياس أبو شبكة والمرأة الأفعى**، عادل الأعور.
5. الحديث ع2- 1937، **فلسفة اللذة والألم**، إسماعيل مظهر.
6. المعرفة ع251- 1983، **أبو شبكة " الشاعر المتمرد"**، نجاح العطار.
7. المكشوف ع182- 1939، **شاعر يصفع بأسواط من لهيب**، سليمان فؤاد.

دعاء....................

إهداء....................

مقدمة ....أ – ب

مدخل 05-02

- **الفصل الأول:**

<u>المبحث الأول:</u> طرق اكتساب إلياس اللغة الفرنسية...08- 11

<u>المبحث الثاني:</u> دوافع ميل إلياس إلى شعر بودلير............................ ....13- 18

<u>المبحث الثالث:</u> هل هناك تشابه بين التجربة الحياتية والشعرية للإثنين....................20- 23

<u>المبحث الرابع:</u> رأي النقاد حول تأثير إلياس بأفاعي الفردوس في أزهار الشر..........25- 27

- **الفصل الثاني:**

<u>المبحث الأول:</u> تأثر إلياس بمنهج بودلير..31-30

<u>المبحث الثاني:</u> الجانب الفني عند الشاعرين..33- 34

<u>المبحث الثالث:</u> في نظر الشاعرين ماهو الجمال وأنواعه؟.................................36- 41

<u>المبحث الرابع:</u> مميزات الجمال..43- 47

الخاتمة...49- 50

قائمة المصادر والمراجع...55-52

الفهرس...57